الرؤية الاستراتيجية لمواجهة تهويد القدس في ظل المتغيرات الدولية الجديدة

«للدكتور حسين سليمان فريد»[1]

إعداد طاقم التحرير

تحت هذا العنوان، أصدر الباحث الفلسطيني الدكتور حسين سليمان فريد ردّاد كتابه الأخير، ويتوافق هذا العمل مع خبرة الباحث الأكاديمية؛ إذ إنه يحمل درجة الدكتوراه في الدراسات الاستراتيجية، ويعمل باحثًا ومحللًا إستراتيجيًّا في معهد الأمن القومي الفلسطيني بمدينة رام الله. وقد أهدى الكاتب نسخة من كتابه لمجلة «المقدسية».

يصوغ الكاتب في مقدمة كتابه سؤال البحث على النحو التالي: «**هل يستطيع المقدسيون مواجهة تهويد القدس والحفاظ على هويتها التاريخية والحضارية والدينية في ظل المتغيرات الدولية الجديدة؟**» (الكتاب، ص: 22). ويعالج الباحث هذا السؤال ضمن الفترة الزمنية من 1993 حتى 2019، بادئًا بتحليل مرتكزات وأبعاد المشروع الاستعماري الصهيوني لتهويد القدس، ومنتقلًا بعد ذلك لتحليل أدوار القوى الفاعلة والمتغيرات الدولية في تهويد القدس، وأخيرًا يحدد ركائز الرؤية الاستراتيجية الفلسطينية لمواجهة وإفشال المخططات الصهيونية لتهويد القدس. وذلك كله في **خمسة فصول، تليها خاتمة تلخص نتائج البحث وتوصياته، ومقترحات للبحوث والدراسات المستقبلية.**

(1) المؤلف: الدكتور حسين سليمان فريد – سنة النشر: 2020 – دار النشر: دار دجلة، عمان – حجم الكتاب: 354 صفحة.

يفترض الباحث في أن السند الدولي الذي قدمته الدول الفاعلة في العالم للكيان الصهيوني قد كان له دور بارز في تهويد القدس. وأن هذا التهويد قد ركز على الأبعاد الديموغرافية والجغرافية وعلى بعد الأسرلة، الذي يعرّفه الباحث على أنه يشمل «إضفاء البعد الإداري الديموغرافي والسياسي والقانوني الصهيوني على القدس»، فيما يعرف الباحث التهويد على أنه يشمل إما «التحول إلى الديانة اليهودية، أو إقامة المجتمع والدولة اليهودية كترجمة توراتية لتحقيق نبوءات دينية مزعومة حول مقولتيّ: «الأرض الموعودة» و«شعب الله المختار» (الكتاب، ص: 26). وأخيرًا يفترض الباحث أنه «يمكن بناء رؤية استراتيجية فلسطينية لمواجهة تهويد القدس من خلال توظيف العامل الديموغرافي في القدس كنقطة قوة في البيئة الداخلية، والقوة الناعمة وعولمة المقاومة كفرص في البيئة الخارجية» (الكتاب، ص: 24). وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي، ومنهج التحليل الاستراتيجي للإجابة على سؤال البحث والتحقق من فرضياته. واعتمد وسائل جمع المعلومات على المصادر الثانوية، والملاحظة والمقابلات الشخصية (الكتاب، ص: 25).

يتضمن **الفصل الأول** إطارًا تمهيديًا للدراسة، وذلك في أربعة مباحث: الأول منها يتعلق بمفهوم التهويد سابق الذكر. أما المبحث الثاني فيعرف الكتلة الحيوية للقدس تاريخًا وموقعًا جغرافيًا ومساحة، فيما يتطرق المبحث الثالث لمفهوم الرؤية الاستراتيجية، والرابع لمفهوم التغيرات الدولية الجديدة وما تتضمنه من فواعل دولية (من الدول)، من غير الدول كالجماعات الراديكالية، والشركات متعددة الجنسيات، والمنظمات غير الحكومية، وحركات التحرر الوطني. كما يتطرق المبحث إلى ثوابت النظام الدولي ومن أهمها اعتباره «أن المشروع الصهيوني مشروع استعماري» (الكتاب، ص: 75)، وأن الفاعلين الغربيين في النظام الدولي يسعون لتثبيت وجود وتوسيع هذا المشروع، وهو ما يمنع تحقيقه صمود الشعب الفلسطيني على أرضه.

يكرس الكاتب **الفصل الثاني** لركائز استراتيجية تهويد القدس، وهي ركائز ثلاث ذات علاقة أولًا بالبعد الديموغرافي الساعي لتعظيم القوة البشرية «من خلال انتزاع الأرض من سكانها الأصليين وإجلائهم عنها وإحلال المهاجرين الجدد مكانهم عبر سياسة الاستيطان» (الكتاب، ص: 83). أما البعد الثاني فهو البعد الجغرافي المرتبط ارتباطًا وثيقًا مع البعد الديموغرافي، وذلك من خلال السيطرة على ما سُمّي بـ«أرض إسرائيل» والاستيطان فيها، وجلب كل «شعب إسرائيل» من شتى أرجاء الأرض إليها. وأخيرًا، فإن البعد الثالث هو

بعد الأسرلة الذي بُدئ بتسمية القدس بأورشليم، وإضفاء الطابع اليهودي عليها، وأسرلة الحكم والإدارة في المدينة، و«ربط قطاعاتها الصحية والتعليمية والصناعية والخدماتية بالكيان الصهيوني» (الكتاب، ص: 105)، والإمعان في التزوير الحضاري والتاريخي لتراث المدينة وتزوير أسمائها، وطمس آثارها العربية، وإطلاق أيدي الجمعيات الأثرية والتوراتية في هذا الإطار. وأخيرًا، الأسرة عبر قلب الحقائق عن القدس، وهو ما تقوم به الماكينة الإعلامية الصهيونية.

يستعرض **الفصل الثالث** المتغيرات الدولية الجديدة وتهويد القدس، ويقسمها الباحث إلى متغيرات سياسية، واقتصادية وتكنولوجية. وفي البحث بشأن المتغيرات السياسية يسرد الكاتب تطور المشروع الصهيوني بالعلاقة مع بريطانيا، ولاحقًا مع الولايات المتحدة وأثر هذه العلاقات على سياسات وممارسات المشروع الصهيوني في القدس، في المقابل يورد الكاتب سلسلة قرارات الأمم المتحدة بشأن القدس، ثم يتطرق للصراعات الدولية والإقليمية التي أدت إلى اختلال موازين القوى لصالح الكيان الصهيوني وتعزيز سيطرته على القدس. أما بالنسبة للمتغيرات الاقتصادية فيناقش الكاتب علاقات إسرائيل الاقتصادية مع أميركا وأوروبا، ثم مع الدول العربية والإسلامية، بما وصل إلى عدة مليارات مع هذه الدول الأخيرة بمن فيها حتى سوريا ولبنان وإيران، كما يشير الكاتب (الكتاب، ص: 174). ويشير الكاتب إلى دخول إسرائيل مؤخرًا إلى نادي الدول المنتجة للغاز؛ مما غير دور الكيان الصهيوني من دور الحامي لمصالح الدول العظمى، إلى دور «يوظف معه الغاز لخدمة مشروعه» (الكاتب، ص: 176). ويختم الباحث هذا الفصل بأن يتطرق إلى نمو التكنولوجيا وشركاتها في الكيان الصهيوني، وسيطرة هذا الكيان على صناعة الإعلام والسينما في العالم.

ويشكل الفصلان الرابع والخامس مساهمة الباحث، حيث يستعرض فيهما الرؤية الاستراتيجية للقدس. ففي **الفصل الرابع** يناقش ركائز الاستراتيجية الفلسطينية لمواجهة تهويد القدس ممثلة باستخدام العامل الديموغرافي الفلسطيني، ومواجهة قوة الاحتلال الصلبة بالقوة الناعمة الفلسطينية، ومن ضمن ذلك عولمة المقاومة من أجل فلسطين عبر «دعم الجهود العربية والإسلامية والمسيحية المؤيدة للحق الفلسطيني من المسيحيين الكاثوليك» (الكتاب، ص: 243)، والتوجه إلى الأمم المتحدة، ونخب العالم وتفعيل المقاطعة الاقتصادية للكيان الصهيوني والشركات المتعاملة معه، والتعاون مع الفاتيكان

والأحزاب السياسية الداعمة في الغرب وتفعيل الجاليات الفلسطينية في الخارج، وكسب المشاهير لصالح فلسطين وغير ذلك من وسائل عولمة المقاومة.

في **الفصل الخامس** والأخير يطرح الكاتب خطته الاستراتيجية المقترحة لمواجهة تهويد القدس بادئًا بتحليل البيئة الداخلية من عناصر قوة وضعف. فيما يتعلق بعناصر القوة فهي تشمل ارتباط الفلسطيني المسيحي والمسلم بالقدس دينيًا ووطنيًا، والعامل الديموغرافي والتماسك الاجتماعي الفلسطينيين، والقانون الدولي والقرارات الدولية بشأن فلسطين والقدس، والإجماع الفلسطيني بشأن القدس، وسهولة وصول فلسطينيي 1948 إلى القدس. يقابل عناصر القوة وجود عناصر ضعف، منها غياب قدرة القيادة السياسية الفلسطينية عن التطبيق لاستراتيجياتها على أرض القدس جراء الموانع الاحتلالية، وتعدد المرجعيات المقدسية والخلافات بينها، وعزل القدس عن محيطها الفلسطيني، وخضوع الفلسطينيين المقدسيين إلى استراتيجيات تهجير، وانفصام الهوية لدى المقدسيين.

بعد ذلك **يورد الباحث نتائج تحليله للبيئة الخارجية وما توفره من فرص، وتطرحه من تهديدات**. وبالنسبة للفرص، يطرح الكاتب طائفة منها تشمل: الأهمية الدينية للقدس لكل مسلمي ومسيحيي العالم، والقانون الدولي والقرارات الدولية بشأن القدس، والرعاية الأردنية للأوقاف الإسلامية والمسيحية في المدينة، وموقف غالبية دول العالم التي تعتبر القدس أرضًا محتلة وعاصمة لدولة فلسطين، والفضاء الإلكتروني الذي أتاح للفلسطينيين عرض قضية القدس على نطاق أوسع، ودعم وتعاطف شعوب العالم مع الحقوق الفلسطينية، وإمكانية انضمام فلسطين إلى المزيد من المنظمات الدولية.

يقابل تلك الفرص تهديدات، تشمل: السيطرة الفعلية للكيان الصهيوني على أرض القدس، وحلف الكيان الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأميركية، والمتغيرات التكنولوجية والاقتصادية التي عززت قوة هذا الكيان، وتغير أولويات عدد من الدول العربية والإسلامية، ونمو الاتجاهات الشعبوية عالميًّا، وغلبة المصالح على الأيديولوجيا، وبالتالي تراجع قضية فلسطين من جداول أعمال دول العالم.

في **مجال المعالجات**، يطرح الباحث رؤيا تقوم على الحفاظ على القدس كـ«مدينة عربية إسلامية عالمية بهوية فلسطينية تستمد عزتها من تاريخها، وتراثها الضارب في التاريخ وأهميتها الدينية والروحية لجميع الأديان السماوية» (الكتاب، ص: 303). كما يطرح الكاتب رسالة تقوم على «تعزيز صمود المواطن المقدسي في أرضه، وجعل القدس مدينة

مفتوحة لشعوب الأرض والديانات كافة وتنميتها تنمية مستدامة» (نفس الصفحة). ويلي ذلك **ثلاثة أهداف استراتيجية يطرحها الباحث**، وهي:

– الحفاظ على طابع مدينة القدس الحضاري والديني والإنساني وتهيئتها لتكون عاصمة دولة فلسطين.

– تعزيز صمود وتحسين حياة والحفاظ على هوية القدس بشرًا وحجرًا.

– مواجهة تهويد القدس عبر إدراك مكامن القوى الذاتية والإسناد العالمي» (نفس الصفحة).

وفي الصفحات الثلاث التالية، **يشتق الباحث أهدافًا فرعية وسياسات لتطبيق الأهداف الاستراتيجية الثلاثة**، وتشمل السياسات المطروحة تكثيف زيارة الوفود العربية والإسلامية والمسيحية للقدس، وإصدار فتاوى تحرّم بيع العقارات للصهاينة فيها، واستصدار المزيد من قرارات الأمم المتحدة ضد الانتهاكات الاحتلالية في المدينة، ورفع قضايا لمحكمة الجنايات الدولية، وتطوير برامج تنموية لكل القطاعات في المدينة، والمزج بين الدبلوماسية الرسمية والدبلوماسية الشعبية في الدفاع عن قضايا المدينة وتجنيد المزيد من الأصدقاء والمناصرين لها. وينهي الكاتب دراسته بعد ذلك بملخص لها، وثبت للمراجع.

حبذا لو خلت الدراسة من الأخطاء الطباعية الكثيرة داخل النص، وكذلك كان من الممكن أن تشتمل الخطة جوانب مبنية على المجتمع المحلي المقدسي وبالمشاركة معه، كما يا ليتها قد استعرضت الخطة الاستراتيجية للقدس لأعوام 2018 – 2022 بدل مجرد ذكرها في النهاية دون تفصيل، ويا ليتها أوضحت كيف وأين تتقاطع مع تلك الخطة وكيف تضيف عليها. أخيرًا كان من المحبذ لو تضمنت الخطة آليات تطبيقية أوسع للسياسات التي طرحتها.

إنها دراسة جديرة بالقراءة واعتماد ما طرحته حول سياسات فلسطين والعرب والعالم من أجل الحفاظ على القدس وتعزيز صمود أهلها ومواطنيها.